كتب غيرت في العالم – 3

من الكتب التي تركت تأثيرات واسعة على الواقع العربي أدبيًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا كتاب ألف ليلة وليلة. فعلاوة على حفظه لجزء مهم من التراث الشعبي للعرب فقد ساهم في تطوير فن الرواية والرواية المتسلسلة، وترك تأثيرًا في الأدب العالمي، مبرزًا بعض الشخصيات التي وُظِّفت في عدد من النصوص غير العربية، مثل شهرزاد وعلي بابا وسندباد وعلاء الدين. وقد أصبح الكتاب مرجعًا لأعمال المستشرقين، ومصدرًا أنثروبولوجيًّا لبعض فترات التاريخ العربي والإسلامي، مثل فترة الحكم العباس والمملوكي. وهكذا فقد ترك الكتاب آثارًا ثقافية وأدبية واجتماعية، رغم أنه عبارة عن حكايات شعبية من أصول متنوعة؛ عربية وفارسية وهندية، عاكسًا حياة الناس في كل من بغداد والقاهرة.

ومن الكتب التي تأثرت به كتاب (شهرزاد) لتوفيق الحكيم، و(أحلام شهرزاد) لطه حسين، و(ليالي ألف ليلة) لنجيب محفوظ. وقد انعكس تأثر الغرب بالكتاب على العرب ذاتهم، معززًا ثقتهم الثقافية بأنفسهم، بل إنه أثر حتى على حكايات أفلام ديزني، وساهم في تشكيل صورة نمطية معينة عنهم لدى الآخر الغربي أو المستشرق؛ تتمثل في القصور والنساء والسحر والجن وغيرها من مفاهيم.

ومن الكتب التي أثرت على مسار وضع القوانين وتنظيم أحوال الناس والعقوبات قانون حمورابي، الذي وُضع في زمن ملك بابل في القرن الثامن عشر قبل الميلاد (1754 ق.م). ولم يكن القانون كتابًا كما تُعرف الكتب اليوم؛ بوصفها أوراقًا مدونًا عليها بطرق مختلفة، بل كان مدونًا على مسلة حجرية كبيرة أمام الناس لكي يعلموا تفاصيل القوانين، وهي طريقة التدوين المعتمدة آنذاك. وقد أدخل ذلك البشر في مرحلة جديدة؛ إذ نقلها من مرحلة الانتقام العشوائي إلى الاحتكام لقوانين معروفة وسلطة مركزية والقبول بذلك.

وقد تألف قانون حمورابي من 282 مادة، تتضمن حماية الشرائح والطبقات الضعيفة في المجتمع من استغلال الأقوياء لهم، وأصالة براءة المتهم فيما يشبه قانون (المتهم بريء حتى تثبت إدانته). ومن ثَم فإن هذا القانون (الكتاب) حدد بوضوح- حسب مقاييس ذلك الزمن- حقوق الناس وواجباتهم. ويقول المؤرخون إن هذا القانون دفع بالحضارات التي تلته (كحضارة اليونان والرومان والفرس) إلى كتابة قوانينها بدل الاعتماد على الأعراف أو الأهواء أو القرارات الارتجالية. كل هذه الأمور ساعدت على وصول الدول والحضارات إلى مستوى ما من الاستقرار.